برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (23)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (20)
شاشة الواقع الشيعي الديني – القسم (2)

السبت: 24 شهر رمضان 1439 الموافق: 2018/6/89

✤ هذهِ هي الحلقة الـ(23) مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] والحديثُ هو الحديث: حديث الولادة (ولادة القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين"). والشاشاتُ لازالتْ مُتعدّدةً مثلما بدأتُ هذهِ الحلقات.

● وصلتُ إلى الشاشةِ الرابعة: شاشةَ الواقع الشيعي الديني.. وقُلتُ بأنّي سأعرضُ صُورتينِ في هذهِ الشاشة:

• **الصُورةُ الأولى**: صُورةٌ مقطعيّةٌ للمَنظومةِ المَهدويّة الفائقة، ومُرادي مِن هذهِ المَنظومة: مجموعةُ المُفردات والقوانين والمَفاهيم التي تشكّلَ منها برنامجٌ بدأه رسول الله "صلّى الله عليه وآله" وتسلسل الأمرُ مع المعصومين إلى زمان ولادة إمامنا الحجّة بن الحسن، وما جرى بعد ذلك من التفاصيل.

● المَنظومةُ الفائقة قَصدتُ بها المُجريات التي اتّبعها أئمّتُنا بنحوٍ عام، واتّبعها إمامُنا الحَسَن العسكري مع أُسرته الشريفة بنحوٍ خاص، واتّبعها إمامُ زماننا بعد ذلك إلى هذه اللّحظة وما بعد هذه اللّحظة بنحوٍ أخص.

وقلتُ أنّني سأعرضُ في الصُورةِ الأولى صُورةً مَقطعيّةً جانبيّة، لأنّني لا أستطيعُ أن أتحدّثَ عن كُلّ شيء.. وبيّنتُ أنّني سأعرضُ هذهِ الصورةَ المَقطعيّة الجانبيّة مِن الشقّ الأوّل وهو الجلّي الظاهر.. إذْ أنَّ هُناك شِقٌّ خَفي مِن هذهِ المَنظومة المَهدويّة الفائقة وهُو الأهم.. ولأنّني لا أمتلكُ مِن الأدلة بما هو في مستوى أدلّة المَعلومات التي عرضتُها سابقاً وسأعرضُها لاحقاً في إطار هذهِ الشاشات المُتعدّدة - وإنْ كُنتُ أعتقدُ بِصحّة هذه المعلومات - لِذا فإنّني سأترُكُ هذه المعلومات (ما يرتبطُ بالشقّ الثاني، وهو الشقّ الخفي، الشقُّ السرّي مِن المَنظومة المَهدويّة الفائقة، سأتركهُ إلى حواشي أضعُها بين أيديكم بعد أن أُكمِلَ الحديث في إطار الشاشة التاسعة.

● إذاً ما يتمّ عرضُهُ في الشاشة الرابعة التي هي شاشةُ الواقع الشيعي الديني هو ما يرتبطُ بالشِقّ الأوّل مِن هذهِ المَنظومة المَهدويّة الفائقة.

تحدّثتُ في الحلقة الماضية عن بعضٍ مِن مِلامح هذهِ المنظومة.. تَحدّثتُ عن النصوص (الآيات، الأحاديث، الأدعيّة والزيارات)

تحدّثتُ عن العلاقات تنظيماً وتأسيساً بمُلاحظةِ الزمان، المكان، الرموز العقائديّة.. وتحدّثتُ عن الطُقوس والمُناسبات.. وقلتُ أنّ هذهِ المُفردات تتداخلُ فيما بينها.. إذ أنّني ناظرٌ إلى صُورةٍ مَقطعيّةٍ جانبيّة.. فهذهِ العناوين (النُصوص: آيات، أحاديث، أدعية وزيارات) وكذلك العلاقات التي يُؤخَذُ فيه بنظر الاعتبار المكان، الزمان، الرموز.. ومُرادي مِن الرموز (الأشخاص) وضربتُ لكم مثالاً: السيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر "صلواتُ الله وسلامه عليها"

• ثُمّ سلّطتُ الضوءَ بشكلٍ سريع على حَركةِ مَنظومةِ الأدعيةِ والزيارات، ومُرادي مِن حركة هذهِ المَنظومة هو فاعليّتُها وفِعْلها وتأثيرها في الذين يتلامسون ويتواصلون مع أطراف هذهِ المنظومة. أشرتُ إلى آثارها في الطُقوس، في الزمان، في المَكان في الرُموز في الثقافة والمَعلومات والمَعارف، في التواصل الاجتماعي.. وفيما تُحدثهُ مِن الحالة النفسيّة والوجدانيّة للذين يرتبطون بهذه المنظومة (فَرَحاً، حُزناً، حماساً، تفاعلاً، وإعجاباً...إلخ)

وقلت: أنّ كُلّ ذلك سيُنتِجُ إعداداً عَقائديّاً ينعكسُ على البُعد الإعلامي في الواقع الشيعي، والسياسي والإعلامي (إنْ كانَ ذلكَ على مُستوى الأفراد أو كان ذلك على مُستوى المجموعات) فضْلاً عن التأثير النفسي الوجداني الواضح.

كُلّ هذا في بعْضٍ مِن مَلامِح هذه المنظومةِ المهدويّة الفائقة.. وكُلُّ ذلك أخذتهُ مِن صُورةٍ مقطعيّةٍ جانبيّة.

● في نفس هذه الدائرة، وفي نفس أجواء هذه المنظومة هُناك مَلْمَحٌ واضحٌ يُمكننا أن نَتلمَّسهُ وهُو اختلافُ مُستوياتِ الإعداد والتهيئة.. قَطْعاً كُلّ هذا ونحنُ في الصُورة الأولى مِن صُورِ الشاشةِ الرابعة.. أمّا الصُورةُ الثانية فسأعرضُها بين أيديكم في يَومِ غدٍ إنْ شاءَ الله تعالى وهي تَطبيقاتٌ واقعيّةٌ في حَياتنا الشيعيّة لِهذه المَنظومةِ المَهدويّة الفائقة.

ورجائي ألا تغفلوا مِن أنّنا نتحدّثُ في أوّل شاشةٍ مِن الشاشاتِ الثانويّة الفرعيّة، بعد أن كَمُل الحديثُ والكلام في الشاشاتِ الثلاثةِ الأولى التي هي الشاشاتُ الأوليّة الأصليّة.

• والحديثُ في الشاشةِ الرابعة يتناولُ الوجْهَ الوجداني.. مِثلما بيّنتُ لكم في الحلقةِ الماضية مِن أنّني أتحدّثُ في أجواء الواقع الشيعي الديني، وديننا وفقاً لمنهج الكتاب والعترة مساحةُ الغَيب فيه واسعة.. ولمّا كانتْ مِساحةُ الغَيب واسعةً في دِيننا، فطَبيعيٌّ جدّاً أنّ مِساحةَ الوجدانِ ستكونُ واسعةً هي الأخرى، لأنّنا لا نستطيع أن نتلامس مع الغيب من بعيد أو مِن قريب إلّا عِبْرَ زُجاجِ نافذةِ الوجدان.

● بنحوٍ مُوجزٍ وسريع بحسب ما أتمكّن سأحدّثُكم عن مُستوياتِ الإعدادِ والتهيئةِ والتي تختلفُ جهاتُها وتختلفُ مَراتبها بحسبِ الجهةِ التي يُرادُ أن يكونَ الإعدادُ والتهيئةُ مناسباً لها.. ونحنُ لازلنا نَتحدّثُ في جانبٍ مِن ملامح المَنظومة المَهدوية الفائقة.

وهذهِ المَنظومة تبني قَواعِدها الإنسانيّةَ الخاصّة وتُحاولُ أن تتواصلَ مع الأطرافِ الأُخرى حتّى مع أعدائها بشكلٍ وبآخر.

• **أوّلُ مُستوىً مِن المُستويات: المُستوى العام.**

ومُردي من المُستوى العام ما تتركهُ هذهِ المنظومةُ مِن أثرٍ على الواقع السياسي وعلى الواقع الاجتماعي (في أجواء الأعداء وفي أجواء الأصدقاء).

• التمهيدُ للمَشروع المَهدوي الأعظم والذي هُو مَشروع مُحمّدٍ "صلّى اللهُ عليه وآلهِ" ابتدأ مع أوّل لحظةٍ ابتدأتْ فيها بعثتُهُ "صلّى اللهُ عليه وآله" مِن هُناكَ كانتْ البداية.. والأمرُ يتواصلُ إلى أن وصلنا إلى الزمن الذي كانت فيه إمامةُ إمامنا الثامن (وهو الإمام الرضا "صلواتُ الله وسلامهُ عليه) في هذه المرحلةِ بدأ الإعدادُ يتّخِذُ منحىً آخر.. أثرٌ أو رمزٌ أو إشارةٌ.. سمّوا ما شِئتم..

الأئمةُ مِن بعْد إمامنا الرضا كُلّهم يُسمّونَ بأولادِ الرضا.. إمامُنا الجواد، إمامُنا الهادي، إمامُنا العسكري.. لأنّ الإمام الرضا "صلواتُ الله وسلامهُ عليه" بدأ يتحرّك بأسلوبٍ ومنهجيّةٍ - قطعاً تتناسبُ مع زمانهِ ومع مُلابسات عصرهِ - ولكنّ أُسلوبَهُ بدأ يختلفُ عن أُسلوب الأئمة السابقين.. وتلك هي مُقتضياتُ البرنامج مِن جهة، وحاجاتِ شيعتهِ مِن جهة أخرى، وما كان يترتّبُ على الواقع آنذاك مِن تأثيراتِ السياسةِ وتَقلّباتِ الأوضاع في الفَترةِ التي عاشها إمامُنا الثامِن (إن كان في الواقع الشيعي وما جرى مِن تَغيّراتٍ بعد شهادةِ إمامنا الكاظم "صلواتُ الله عليه" أو ما جرى على المُستوى السياسي في أجواء بني العبّاس خُصوصاً بعد هلاك هارون العبّاسي.

● لستُ بِصدد التأريخ لِتلك المرحلة، ولكنّ الإمام الرضا "صلواتُ الله عليه" دخل في مرحلةٍ جديدة.

صُورةٌ صريحةٌ: إمامُنا الجواد كانتْ إمامتهُ - الظاهرة بين الناس - وهو في سنٍّ دُون العاشرة.. قضيّةٌ كبيرةٌ جدّاً ومُعقّدةٌ في أجواء أهل القِبلة (في أجواء المُسلمين). منذُ يوم السقيفة وهذهِ المُشكلةُ تتعقّد يَوماً بعد يوم..!

أعقدُ مُشكلةٍ في تأريخ الإسلام والمُسلمين هي مُشكلة الإمامة وإلى يومنا هذا.. وفي تِلكُم الظروف الحرجة وفي تِلكم الأجواء المُتقلّبة وإذا بالذي يتصدّى للإمامة وبشكلٍ ظاهرٍ وواضح في سِنٍّ دُون العاشرة.. مع مُلابساتٍ جَرتْ بخصوصه "صلواتُ الله عليه" بعد ولادته.

• الإمام الجواد كان إماماً في سنٍّ دون العاشرة، وهذا الأمرُ أربك الهاشميّين، أربكَ أكثرَ الشيعة، وأربكَ العبّاسيين.. وبرغم أنوفِ الجميع أقرَّ الجميعُ - على الأقل - بقدّمه.. إذْ لم يستطعْ أحدٌ أن يُقاربَهُ في كُلّ شيء، وإن كان العنوانُ الأوّل المطروح هو العِلْم، ولكنّه كان مُتميّزاً في كُلّ شي، ولِذا السُلطات العَبّاسيّة لم تخطو خطوةً واحدة في الحديث عن التشكيك في إمامته. نعم جرتْ مُحاورات واختبارات وندوات، ولكن بعد ذلك السُلطةُ العبّاسيّةُ سكتتْ.. لم تتكلّم لأنّ الإمام الجواد ثبتتْ إمامَتهُ، والعبّاسيّون كانوا على عِلْمٍ أكثر مِن غيرهم.

لو كان الحديثُ عن إمامتهِ "صلواتُ الله عليه" لبسطتُ لكم القول في ذلك، وجئتُكم بتفاصيل سِيرتهِ وما جرى في أيّامهِ مِن وقائع.

● بعد إمامنا الجواد، إمامُنا الهادي تسنّمَ الإمامةَ وهو في سِنٍّ دُون العاشرة.. لكنّ هذا الأمر لم يُذكَر باستغرابٍ كثيرٍ في التأريخ لأنّ أباهُ الإمام الجواد كانت إمامَتهُ وهو في سِنٍّ دُون العاشرة.. ولم تستطع السُلطات العبّاسية آنذاك أن تطرح التشكيك في إمامته، فلقد أَثبتَ إمامتهُ برغم أُنوف الجميع.. أرغم آناف الجميع.

فالإمامُ الجوادُ إمامتُهُ في سنٍّ دون العاشرة، وكذلك إمامنا الهادي.. ثُمّ جاءتْ إمامةُ إمامنا الحَسَن العسكري وهو في سنّ العشرين.

بعد ذلكَ كانتْ إمامةُ إمامِ زماننا وهو في سنٍّ دُون العاشرة.. لكن الجديدَ أنّه "صلواتُ الله عليه" وُلِد في أجواء يحكُمها الكتمان وتُهيمن عليها السِريّة، وبعد ذلك غاب عن الأبصار "صلواتُ الله وسلامهُ عليه".

مُرادي أنّ إمامةَ الإمامِ الجواد وإمامةَ الإمام الهادي وحتّى إمامةَ الإمام الحَسَنِ العسكري في سِنّ العشرين كُلّ هذا بمثابةِ إعدادٍ وتهيئةٍ للواقع الشيعي عُموماً، وللواقع القريب مِن بيتِ إمامنا الحسن العسكري، وحتّى للواقع الاجتماعي العام، وحتّى للواقع السياسي.

لا أريدُ أن أتناولَ كُلّ صغيرةٍ وكبيرة بهذا الخُصوص، ولكنّني أعرضُ المسائل عرضاً إجماليّاً، وأكتفي بما عرضتهُ مِن إشاراتٍ واضحةٍ لإعداد وتهيئةِ الجوّ العام لإمامةِ إمام زماننا الحجّة بن الحسن وهو في صِغَر سِنّه.

● ما ذكرتُهُ بخصوصِ إمامة إمامنا الجواد وإمامنا الهادي في سنٍّ دُون العاشرة كان مِثالاً للإعدادِ والتهيئةِ بالمُستوى العام وسأذكرُ لكم مِثالاً للإعدادِ والتهيئةِ بالمُستوى الخاص، وحِين أتحدّثُ عن المُستوى الخاصّ أعني الذي يكون مُرتبطاً بشكلٍ مُباشر للشيعة فقط.. ربّما تكون له آثار يتلمّسُها الآخرون مِن خارج الدائرةِ الشيعيّة. بينما الإعداد والتهيئة على المُستوى العام فإنّ ذلك يكون شاملاً للواقع الشيعي، وللواقع غير الشيعي.. في عُموم الساحة الاجتماعيّة بكلّ مشاربها واتّجاهاتها وخطوطها.

أمّا على المُستوى الخاصّ فإنّ ذلك يرتبطُ بالواقع الشيعي.. ربّما تكونُ لِذلك تأثيرات يصِلُ مَداها إلى خارج الواقع الشيعي.

● وقفة عند كتاب [كمال الدين وتمام النعمة] للشيخ الصدوق. في صفحة 503 وما بعدها الحديث 25 جاء فيه:

(**بسنده: حدّثنا أبو الحسن عليُّ بن سنان الموصليُّ قال: حدَّثني أبي قال: لمّا قبض سيّدنا أبو محمّد الحسن بن عليٍّ العسكريُّ صلوات الله عليهما وَفَدَ مِن قمّ والجبال** - المراد من الجبال: أرض الجبل، أي من إيران - **وفودٌ بالأموال الّتي كانتْ تحمل على الرسم والعادة، ولم يكن عندهم خبرُ وفاة الحسن عليه السلام، فلمّا أن وصلوا إلى سرّ مَن رأى سألوا عن سيّدنا الحسن بن عليٍّ عليهما السلام، فقيل لهم: إنَّه قد فقد، فقالوا: ومَن وارثه؟** - يقصدون وراثة الإمامة - **قالوا: أخوهُ جعفر بن عليٍّ** - جعفر الكذّاب - **فسألوا عنهُ، فقِيل لهم: إنّهُ قد خَرَج مُتنزِّهاً وركب زَورقاً في الدجلة يشربُ** - أي يشرب الخمر - **ومعهُ المُغنّون، قال: فتشاور القومُ، فقالوا: هذهِ ليستْ مِن صفةُ الإمام، وقال بعضُهم لبعضٍ: امضوا بنا حتّى نَرُدَّ هذهِ الأموال على أصحابها. فقال أبو العبّاس مُحمّد بن جعفر الحِميريُّ القمّيُّ:**

قِفُوا بنا حَتّى ينصرفَ هذا الرجُل - إلى داره - **ونَختبرَ أمرهُ بالصحّة. قال: فلمّا انصرفَ دَخلوا عليه فسلّموا عليه وقالوا: يا سيّدنا نَحنُ مِن أهل قُمّ ومَعَنا جماعةٌ مِن الشيعة وغَيرُها، وكُنّا نَحملُ إلى سيّدنا أبي مُحمّد الحَسَن بن عليٍّ الأموال، فقال: وأين هي؟ قالوا: مَعَنا، قال: احملوها إليَّ، قالوا: لا، إنَّ لهذهِ الأموال خَبَراً طَريفاً، فقال: وما هو؟ قالوا: إنَّ هذهِ الأموال تُجمَعُ ويكونُ فيها مِن عامّة الشيعة الدينار والديناران، ثمّ يَجعلونها في كيس ويختمونَ عليه، وكُنّا إذا وردْنا بالمال على سيّدنا أبي مُحمّد عليه السلام يقول: جُملةُ المال كذا وكذا ديناراً، مِن عِند فلان كذا ومِن عند فلان كذا حَتّى يأتي على أسماءِ الناس كلّهم ويقول ما على الخَواتيم مِن نقش، فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخي ما لا يفعَلُهُ، هذا عِلْم الغَيب ولا يَعلمهُ إلّا الله.**

قال: فلمّا سَمِعَ القومُ كلام جعفر جعل بعضُهم ينظرُ إلى بعض فقال لهم: احملوا هذا المال إليَّ، قالوا: إنّا قوم مُستأجرون وُكلاء لأرباب المال ولا نُسلّم المال إلّا بالعلاماتِ الّتي كُنّا نعرفُها مِن سيّدنا الحسن بن عليٍّ عليهما السلام، فإنْ كنتَ الامام فبرهنْ لنا وإلّا رددناها إلى أصحابها، يرون فيها رأيهم.

قال: فدخل جعفر على الخليفة. وكان بسرّ مَن رأى. فاستعدى عليهم - أي قدّم شكوى - **فلمّا أُحْضِروا، قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر، قالوا: أصلحَ اللهُ أميرَ المُؤمنين، إنَّا قومٌ مُستأجرون وُكلاء لأربابِ هذهِ الأموال، وهي وِداعةٌ لِجماعةٍ وأمرُونا بأن لا نُسلّمها إلّا بعَلامةٍ ودَلالة، وقد جَرتْ بهذهِ العادة مع أبي مُحمّد الحسن بن عليٍّ عليهما السلام.**

فقال **الخليفة: فما كانت العلامة الّتي كانت مع أبي محمّد. قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي؟ فإذا فعل ذلك سلّمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً فكانتْ هذه علامتَنا معه ودلالتَنا ، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحبَ هذا الأمر فليُقم لنا ما كان يُقيمه لنا أخوه، وإلّا رددناها إلى أصحابها.**

فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إنَّ هؤلاء قومٌ كذَّابون يكذبونَ على أخي وهذا عِلْم الغَيب، فقال الخليفة: القَومُ رُسُل، وما على الرسول إلّا البلاغ المُبين، قال: فبُهتْ جعفر ولم يَرُدَّ جواباً، فقال القوم: يتطوَّل أمير المُؤمنين بإخراج أمْره إلى مَن يُبدرقنا - أي: يخرجنا بأمان - **حتّى نخرجَ مِن هذهِ البلدة، قال: فأمرَ لهم بنقيب فأخرجهُم مِنها، فلمّا أن خَرَجوا مِن البلد خرَجَ إليهم غُلامٌ أحسنُ الناس وَجْهاً، كأنّهُ خادم، فنادى يا فُلان بن فلان ويا فلان ابن فلان أجيبوا مَولاكم، قال: فقالوا: أنت مَولانا؟ قال: معاذ الله: أنا عبْدُ مَولاكم، فسيروا إليه، قالوا: فسِرْنا إليه معهُ حتّى دخلنا دار مَولانا الحسن بن عليٍّ عليهما السلام، فإذا ولده القائم سيّدنا عليه السلام قاعدٌ على سرير كأنّهُ فلقة قمر، عليه ثيابٌ خُضْر، فسلّمنا عليه، فردَّ علينا السلام، ثمَّ قال: جُملةُ المال كذا وكذا ديناراً، حملَ فلان كذا، وحملَ فُلانٌ كذا، ولم يزلْ يصِفُ حتّى وصف الجميع.**

ثمَّ وصف ثيابنا ورِحالنا وما كان مَعنا من الدوابِّ ، فخَرَرنا سُجّداً لله عزَّ وجلَّ شُكراً لمّا عرَّفنا، وقبّلنا الأرضَ بين يديه، وسألناهُ عمَّا أردنا فأجاب، فحَملْنا إليه الأموال، وأمرنا القائم عليه السلام أن لا نَحْمِلَ إلى سرَّ مَن رأى بعْدها شَيئاً مِن المال، فإنّه ينصبُ لنا ببغداد رَجُلاً يُحمَلُ إليه الأموال ويَخرجُ مِن عندهِ التوقيعات، قالوا: فانصرفنا مِن عندهِ ودفعَ إلى أبي العبّاس مُحمّد بن جعفر القُميِّ الحميريّ شيئاً مِن الحُنوط والكفن فقال له: أعظمَ اللهُ أجركَ في نفسك، قال: فما بلغَ أبو العبّاس عَقَبةَ همدان حتّى توفِّي رحمه الله. وكان بعد ذلك نحملُ الأموال إلى بغداد إلى النوَّاب المَنصوبين بها ويخرجُ مِن عندهم التوقيعات).

هذه الواقعة تُخبرنا وتُبيّن لنا جانباً مِن الإعدادِ والتهيئةِ على المُستوى الخَاص.. ربّما بعْضُ آثار هذا الإعدادِ وهذهِ التهيئة تَصِلُ أخبارهُ إلى الأطرافِ الأخرى خارجَ الإطار الشيعي.. لكن قطعاً ما جاءَ في هذهِ الواقعة يتّصلُ بشكلٍ مُباشرٍ وواضح بالواقع الشيعي.. مِثالٌ مِن أمثلةِ الإعداد والتهيئة للواقع الشيعي الخاصّ ضِمن إطار المنظومةِ المهدويّة الفائقة.

● ذكرتُ لكم مِثالاً عن الإعدادِ والتهيئةِ في هذهِ المَنظومة الفائقة يتناسبُ مع المُستوى العام.. ما حدّثكم بهِ عن صِغَر سنّ الأئمة كالإمام الجواد والإمام الهادي "صلواتُ الله وسلامهُ عليهما".. وذكرتُ لكم مِثالاً عن الإعدادِ التهيئةِ على المُستوى الخاصّ (ما قرأتهُ عليكم مِن حادثة أولئك الذين جاءوا مِن إيران يحملون الأموال). فهو مثال للإعداد والتهيئة وفقاً للمستوى الخاص بحسب هذه المنظومة المهدويّة الفائقة.

● سأذكرُ لكم مِثالاً يتناسبُ مَع المُستوى الأخصّ.. وهذا لا يطّلع عليه إلّا الخواص (إعداد للمجموعة الأخص)

أذكر لكم مثالاً وأنا أقرأ عليكم رواية مُفصّلة مُهمّة جدّاً مِن كتاب [كما الدين وتمام النعمة] للشيخ الصدوق الحديث (50) جاء فيه:

• **(بسنده: عن سدير الصيرفي قال : دخلتُ أنا والمُفضّل بن عمر، وأبو بصير، وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب وعليه مِسْحٌ خيبريٌّ مطوَّق بلا جيب** - ثوبٌ من الثياب المتواضعة من دون ياقة، ومن دون فتحة -، **مُقصّر الكمّيْن** - أكمامه قصيرة - **وهو يبكي بكاءَ الواله الثكلى** - التي فقدتْ أعزّ الناس عليها، والواله هو الذي حار في حُزنه وألمه - **ذات الكبد الحرىَّ، قد نال الحُزن من وَجنتيه** - أي أثّر في وجنتيه - **وشاعَ التغيير في عارضيه** - أي جانبا الوجه -، **وأبلى الدُّموع مِحْجريه** - كثرة الدموعُ أثّرت فيما حول عينيه - **وهو يقول: سيّدي غيبتكَ نفثْ رقادي، وضَيّقتْ عليَّ مِهادي** - ضيّقتْ عليّ المكان الذي أرتاح فيه - **وابتزَّت منّي** - أخذت منّي - **راحة فؤادي، سيّدي غيبتكَ أوصلتْ مُصابي بفَجائع الأبد وفقدُ الواحد بعد الواحد يُفني الجَمْعَ والعدد، فما أحُسُّ بدمعةٍ ترقى من عيني** - أي تجف وتنقطع - **وأنينَ يفترُ من صدري عن دوارج الرزايا** - الرزايا المُتتابعة - **وسوالف البلايا إلّا مثّل بعيني عن غوابر أعظمها وأفظعها، وبواقي** - جمع بائقة وهي المُصيبة النكراء - **أشدُّها وأنكرها ونوائب مَخلوطةٌ بغضبك، ونوازل مَعجونة بسخطك.**

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهاً، وتصدَّعتْ قُلوبنا جَزَعاً من ذلك الخطب الهائل، والحادث الغائل - أي المُهلك - ، **وظنّنا أنَّه سمْتٌ** - أي علامةٌ - **لمكروهة قارعة، أو حلّت به من الدهر بائقة، فقُلنا: لا أبكى الله يا ابنَ خير الورى عينيكَ، مِن أيّة حادثةٍ تُستنزف دمعتك وتُستَمطَرُ عبرتك؟ وأيّةُ حالةٍ حتَّمتْ عليك هذا المأتم؟!**

قال: فزفر الصادق عليه السلام زفرةً انتفخ منها جوفه، واشتدَّ عنها خوفه، وقال: ويلكم، نظرتْ في كتاب الجَفْر صبيحةَ هذا اليوم وهو الكتاب المُشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الّذي خصَّ الله به محمّداً والأئمّة من بعده عليهم السلام ، وتأمّلت منه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين في ذلك الزَّمان، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم الّتي قال الله تقدَّس ذكره : « وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه » - **يعني الولاية -** **فأخذتني الرِّقّة، واستولتْ عليّ الأحزان فقلنا: يا ابن رسول الله كرِّمنا وفضّلنا بإشراكك إيّانا في بعض ما أنت تعلمه من علم ذلك.**

قال: إنَّ الله تبارك وتعالى أدار للقائم منّا ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل، قدّر مَولده تقدير مولد موسى، وقدَّر غيبته تقدير غيبة عيسى - أي حين ارتفع إلى السماء إلى نزولهِ -، **وقدر إبطاءه تقدير إبطاء نوح، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح** - أعني الخضر - **دليلاً على عمره، فقُلنا له: اكشف لنا يا ابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني.**

قال عليه السلام : أمّا مولد موسى فإنَّ فرعونَ لمّا وقف على أنَّ زَوال مُلْكهِ على يده أمر بإحضار الكَهَنَة فدلّوه على نسبه وإنّه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشقِّ بطون الحوامل مِن نساء بني إسرائيل حتّى قتل في طَلَبِهِ نيّفاً وعشرين ألف مولود، وتعذَّر عليه الوصول إلى قتل موسى بحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه، وكذلك بنو أُميّة وبنو العبّاس لمّا وقفوا على أنَّ زوال مُلْكهم ومُلك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سُيوفهم في قتل آل الرَّسول "صلّى الله عليه وآله" وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم ، ويأبى الله عزَّ وجلَّ أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلّا أن يتمَّ نوره ولو كره المشركون.

وأمّا غيبةُ عيسى: فإنَّ اليهود والنصارى اتّفقتْ على أنَّهُ قتل فكذَّبهم الله جلَّ ذكره بقوله: «وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبّه لهم» ، كذلك غيبةُ القائم فإنَّ الأُمّة ستنكرها لطولها؛ فمِن قائل يهذي بأنه لم يُولد، وقائلٍ يقول: إنَّهُ يَعتدَّى إلى ثلاثة عشر وصاعداً، وقائل يعصي الله عزَّ وجلَّ بقوله: إنَّ روح القائم ينطقُ في هيكل غيره.

وأمّا **إبطاءُ نُوح: فَانّهُ لمّا استُنزلتْ العُقوبة** - أي قُرّرت - **على قومهِ مِن السماء، بعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ الروح الأمين بسبع نويات** - أي سبع من نوى التمر - **فقال: يا نبيَّ الله إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لك: إنَّ هؤلاء خلائقي وعبادي ولستُ أُبيدهم بصاعقةٍ مِن صَواعقي إلّا بعد تأكيدِ الدَّعوة وإلزام الحُجّة، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإنّي مُثيبك عليه وأغرس هذهِ النوى فإنَّ لكَ في نباتها وبُلوغها وإدراكها إذا أثمرتْ الفرجَ والخلاص، فبشّر بذلك من تبعك من المؤمنين.**

فلمّا نبتتْ الأشجار وتأزَّرت وتسوَّقتْ - نمتْ لها سِيقان - **وتغصّنتْ وأثمرت وزها التمرُ عليها بعد زمان طويل استنجزَ مِن الله سُبحانه وتعالى العدّة** - أي الموعد -، **فأمرهُ الله تبارك وتعالى أن يغرسَ مِن نوى تلك الأشجار ويُعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكّد الحُجّة على قومه، فأخبرَ بذلك الطوائف الّتي آمنتْ به فارتدَّ منهم ثلاثمائة رجلٌ وقالوا: لو كان ما يدّعيه نوحٌ حقّاً لمّا وقع في وعد ربّه خُلْف.**

ثمَّ أنَّ الله تبارك وتعالى لم يزلْ يأمرهُ عند كُلّ مرَّة بأن يغرسها مَرَّةٍ بعد أُخرى إلى أن غَرَسها سَبْع مرَّات، فما زالتْ تلكَ الطوائفُ مِن المُؤمنين ، ترتدُّ منهُ طائفةً بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيّف وسبعينَ رجلاً فأوحى الله تبارك وتعالى عند ذلك إليه، وقال: يا نوح الآن أسفرَ الصُبح عن اللّيل لعينك حين صرَّحَ الحقُّ عن محضه وصفى الأمر والإيمان من الكدر بارتداد كلِّ من كانت طينته خبيثة، فلو أنّي أهلكتُ الكفّار وأبقيتُ مَن قد ارتدَّ من الطوائف التي كانتْ آمنتْ بكَ، لما كنتُ صدَّقت وعدي السابق للمؤمنين الّذين أخلصوا التوحيد مِن قومك واعتصموا بحبل نبوَّتك بأن أستخلفهُم في الأرض وأُمكنَّ لهم دينهم وأُبدلَّ خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك مِن قلوبهم، وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّي لهم مع ما كنتُ أعلم مِن ضعف يقين الّذين ارتدّوا وخُبثَ طينهم وسُوء سرائرهم الّتي كانتْ نتائجَ النفاق، وسُنوحَ الضلالة - أي شيوعها وانتشارها - **فلو أنّهم تسنّموا منّي الملك الّذي أوتي المُؤمنين وقتَ الاستخلاف إذا أهلكُ أعداءهم لنشقوا روائح صفاتهِ ولاستحكمتْ سرائر نفاقهم تأبّدت حبال ضلالة قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة، وحاربوهم على طلب الرئاسة، والتفرُّد بالأمر والنهي، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المُؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب كلّا «واصنع الفلك بأعيننا ووحينا».**

قال الصادق عليه السلام: وكذلك القائم فإنه تمتدُّ أيّامُ غَيبتهِ ليُصرّح الحقُّ عن مَحضهِ ويصفو الإيمانُ مِن الكَدَر بارتدادِ كلِّ مَن كانتْ طينتهُ خبيثة مِن الشيعة الّذين يُخشى عليهم النفاق إذا أحسُّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المُنتشر في عهد القائم عليه السلام.

قال المُفضّل: فقلتُ: يا ابنَ رسول الله فإنَّ هذهِ النواصب تزعم أنَّ هذهِ الآية نزلتْ في أبي بكر وعُمر، وعثمان، وعليٍّ عليه السلام.

فقال: لا يهدي اللهُ قلوب الناصبة. متى كان الدين الّذي ارتضاه الله ورسوله متمكّناً بانتشار الأمن في الأُمّة ، وذهاب الخَوف مِن قلوبها، وارتفاع الشكِّ مِن صُدورها في عهد واحد مِن هؤلاء وفي عهد عليٍّ عليه السلام مع ارتداد المُسلمين والفتن الّتي تثور في أيامهم والحروب التي كانت تنشبُ بين الكفّار وبينهم. ثمّ تلا الصادق عليه السلام «حتّى إذا استيأس الرُّسل وظنّوا أنّهم قد كذبوا جاءهم نصرنا».

وأمّا العبد الصالح - أعني الخضر عليه السلام- فإنَّ الله تبارك وتعالى ما طوَّل عمره لنبوّة قدرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء ، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعةٍ يفرضُها له، بلى إنَّ الله تبارك وتعالى لمّا كان في سابق عِلمهِ أن يُقدّر مِن عُمر القائم عليه السلام في أيّام غيبته ما يقدّر، وعلم ما يكون مِن إنكار عبادهِ بِمقدار ذلكَ العُمر في الطول، طول عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلّا لعلة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة).

• هذه الصورة التي يرسمها لنا إمامنا الصادق بنحوٍ عملي.. الإمام جالس على التراب يلبس ثوباً مُتواضعاً، آثار الحزن واضحةً عليه.. فأيّةُ رسالةٍ هذه التي يُريد الإمام أن يُوصلها إليها؟ ولادة القائم أمرٌ مُهمٌّ جدّاً في برنامج الكتاب والعترة.. ولِذا الإمام تأمّل مَولد القائم.

• قول الإمام: (**وكذلك بنو أُميّة وبنو العبّاس لمّا وقفوا على أنَّ زوال مُلْكهم ومُلك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سُيوفهم في قتل آل الرَّسول "صلّى الله عليه وآله" وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم**) قضيّةٌ مُهمّةٌ جدّاً.. لابُدّ أن نلتفتَ إليها وهي: أنّ بني أُميّةَ يبنون مُخطّطاتهم وفقاً لهذا الفِكر.. فلماذا المُؤسّسة الدينيّة الشيعيّة الرسميّة لا تبني برنامجها على انتظار إمام زماننا؟ لِماذا لا نرى شيئاً على أرض الواقع يصدر مِن مراجعنا؟!

مراجعنا يَعيشون ويموتون ولم يَتكلّموا حتّى بساعةٍ واحدة عن إمام زماننا - وقطعاً أنا لا أقصد الجميع بالمُطلق - ولكن الآن بين أيدينا شواهد.. هناك مراجع لم يتحدّثوا عن إمام زمانهم ولا مرّة واحدة..!! الله سُبحانهُ وتعالى حِين يبعثُ الأنبياء يُمثّلونَهُ وينوبون عنهُ في الأرض، فإنّهم يتكلّمون حتّى آخر

لحظةٍ من حياتهم يتكلّمون عن الذي ينوبون عنه وهو الله.. وبالمثل أوصياء الأنبياء. فلماذا مراجعنا لا يتفوّهونَ بكلمةٍ واحدةٍ عن إمام زماننا وهُم يقولون أنّهم نوّاب الإمام؟! لِماذا المُؤسّسةُ الدينيّة الشيعيّةُ الرسميّة لا تَمتلكُ مَشروعاً واضحاً يتحرّك باتّجاهِ إمام زماننا؟

إذاً هل سيكونُ مُستغرباً حينما يُحدّثنا الإمام الصادق والرواية في تفسير إمامنا العسكري.. أنّ أكثر علماء الشيعة هُم أضرُّ على الشيعة مِن جيش يزيد على الحُسين بن عليّ وأصحابِهِ؟!

إذا كان الأمويّون والعبّاسيّون يبنونَ برامجهم على أساسِ حرب الإمام الحجّة لأنّهم يعتقدون بوجوده.. أو الذين كانوا قبلَ ولادته يعتقدون بأنّه سيُولد، فيُريدون القضاء على أُصولِهِ وجذورهِ مِن أيّ جهةٍ سيأتي..

لكنّني لا ألومُ الذي يُخطّطُ لِمَرجعيّةِ أبنائِهِ.. ويَجمعُ الأموالَ لذلك، ولا ألومُ ذلكَ الذي عَينهُ على الدَرب تنتظرُ الذي يأتيهِ بخبر مَوتِ المرجعِ المَوجودِ الآن كي يجلسَ مَحلّه.. ما علاقة هؤلاء بإمام زماننا؟! هؤلاء عيونهم على جهاتٍ أُخرى لا علاقةَ لها بإمام زماننا..!

• ألا تُلاحظون أنّ أوّل فقرةٍ يتحدّث عنها الإمام الصادق حين تحدّث عن موسى، تحدّث عن ولادة الإمام.. وحِين تحدّث عن عيسى تحدّث عن ولادة الإمام.. وأساساً حِين تحدّث عن مُطالعتهِ لكتاب الجفر، قال: (**إنّني تأمّلتُ مولد القائم**).

وهذا الحديث كلّه قبل ولادة القائم، فبعد ولادتهِ كم سيكونُ لِهذا العُنوان وهذا الموضوع مِن الأهميّة الكبيرة.. ولِذا إبليسُ تَحرّك تحرُّكاً هَائلاً باتّجاهِ هذه المسألة، ووظّف مَراجعَ الشيعة - كُلٌّ بِحسبهِ - في خِدمةِ مَشروعهِ الإبليسي، وهذا ما سيأتي بيانهُ في الحلقات القادمة حِين أفتحُ الشاشة السابعة والتي عنوانها: شاشةُ إبليس.

• الروايةُ طويلةٌ ومُهمّةٌ في نفس الوقت.. وإذا أردتُ أن أقِف على كُلّ مِفصلٍ مِن مفاصلها فإنّي أحتاج إلى حلقتين أو أكثر.. وأنا أحاول قدْر الإمكان أن أختصرَ المطالب. أنا جئتُ بهذهِ الرواية مِثالاً للإعدادِ والتهيئةِ في المُستوى الأخصّ والذي هُو جُزءٌ مِن أجزاءِ المَنظومة المَهدويّة الفائقة.. فليسَ الحديثُ عن هذه الرواية وعن تفاصيلها..

كما تعلمون فَإنّنا قد وصلنا إلى الشاشة الرابعة والتي عنوانها: شاشةُ الواقع الشيعي الديني.. وإنّني أتحدّث هنا عن الوجه الوجداني لواقعنا الشيعي.

● وقفة خُلاصة سريعة لِما جاء في هذه الحلقة.